

وان يبدأ بتأليف فروع لها في كل انحاء فلسطين ، حتى اذا قويت تمد فروعها الى جميع الانحاء العربية . ولو احسن تأليف هذه الجمعية « لا تلبث ان تصير مرعية الجانب ... في المجتمع العربي ... » وحينئذ تضطر الاحزاب الى استمالتها وخدمة مبادئها للفوز بمساندتها الادبية ... » ويضع نصار اقتراحه امام كبار البلاد ومفكرها ليتداولوا فيما بينهم وليعلموا الحكومة برغبتهم في عقد مؤتمر لهذه الغاية في نابلس .

وزاد الحاح نصار على الدعوة الى فكرة المؤتمر اللاصهيوني بعد رد جريدة الاصلاح البيروتية (٨٩) عن ضعف الامل بمساعيها لتلافي بيع الاراضي الاميرية . لقد بدأ نصار يفقد ثقته بأي زعامة عربية خارج فلسطين لا تجد حدا للخطر الصهيوني . ومع ان هدفه من دعوة الفلسطينيين الى تأليف جامعة عربية فلسطينية قومية هو كي « ... لا تكون فلسطين سهلا يمر به الغزاة فلا يجدون فيه عقبة فيكتسحون البلاد كلها ... » ، الا انه دعا ان تكون هذه الجامعة قوية في نفسها ولا تكون عالة على بيروت او الشام او حلب او العراق او الحكومة العثمانية « فقوتها درع لها وحصن لجارتها ، وحكومتها » . ويضيف : « ... على الفلسطينيين ان يعتمدوا على انفسهم وخاصة ان الخطر السياسي والاجتماعي والاقتصادي يهددهم مباشرة ... علينا ان نطلب الحياة من طريقها الصحيح لا ان نقول للغير ارحمونا وادفعوا عنا البلاء ، ولا للطامعين فينا اشفقوا علينا وكفوا عن الطمع فينا ، فهذه اقوال ليس لها وجود في قاموس تنازع البقاء ... » (٩٠) . ووجهت (المفيد) البيروتية (٩١) لوما لصاحب الكرمل لدعوته الفلسطيني قائلًا « ما حك جلدك سوى ظفرك ، فقم للمدافعة عن نفسك بنفسك » ورد بقوله « ... معاذ الله ان نخصد بقولنا التفريق بين اهل بيروت وفلسطين ... ولكننا نريد ان يكون للفلسطينيين جامعة محترمة بذاتها » .

الدعوة لم تكن اقليمية ، والدليل ان الكرمل كانت ترقب باهتمام مساعي التفاهم التي كانت تبذل في باريس والاسنانة للتقريب بين الحكومة ورجال الاصلاح ، ولكنها كانت تشترط ان اساس الاصلاح والتفاهم مع الترك هو عدم التفريط بالاراضي للصهيونية . لقد كانت تأمل (٩٢) « ان ينال الفلسطينيون من اتفاق العرب والترك نصيبا وهو بقاءهم آمنين في اوطانهم وبقاء اوطانهم عثمانية » .

نجحت حملة الكرمل حول قضية الاراضي الاميرية وتراجعت الحكومة عن موقفها في بيع اراضي غور بيسان في اكتوبر ١٩١٣ ، لكن هذا لم يخفف مطلقا من دعوة الكرمل الى مؤتمر نابلس اللاصهيوني . فكانت نقمة نصار عنيفة على ابناء الوطن ، زعمائه واعيانهم بوجه خاص (٩٣) فدعاهم مرة « سكان القبور » لغفلتهم بعد ان مضى خمس سنين والكرمل تنبه الى خطر الصهيونيين وهم « ... لاهون في اشباع شهواتهم وفي منازعاتهم ومشاحناتهم وغافلون عما يحرق بهم من الاخطار » حتى ان بعضهم يعمل « سمسارة صهيونيين وخدمة على ضياع وطنهم ... » . ويرى انهم لو لم يسارعوا الى عقد المؤتمرات وتأليف الجمعيات التي تهتم باتقاء خطر الصهيونية عن البلاد صاروا « حكاية تاريخية بعد حين » . بل انه قرأ احكاما صادرة عليهم بانهم ليسوا اهلا للحياة . ويذكرهم « ... أنتظرون اذا في هذا الدور دور المصلحة والمنفعة ان ترجمكم الدول والحكومات والشعوب اذا بكيتم وتذللتم ... فالدنيا ما خلقت لغير القوي ، فمن العبث ان تعللوا نفوسكم بنأمين عدل القوي في الضعيف عن طريق الاستعطاف والاسترحام ، فكلما ظهر دليل على ضعف الضعيف هتف هاتف في صدر القوي ان اسحقه وامحقه فهو غير صالح للبقاء ، يشغل قسما من الارض ويعطله والارض انما خلقت للاقوياء ... »

لم يخرج المؤتمر الفلسطيني الى الواقع ، فقط سلسلة جديدة من الاجتماعات والبرقيات الى الجهات المسؤولة ، الا انه لا يمكن ان نقول ان دعوة نصار قد فشلت ، فالجيل الجديد تجاوب معها ، ورحبت « الشبيبة الفلسطينية » في الاسنانة بالمؤتمر الفلسطيني